مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 24 عدد: 51 السنة:2020

إنسان الحضارة ومشكلة الافكار في المجتمعات المسلمة من منظور مالك بن نبي

Man of civilization and his problems in Muslim societies from the perspective of Malik bin Nabi

خلفاوي عزيزة
جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة2
Azizakh.socio@gmail.com

تاريخ الوصول: 2020/01/04 القبول: 2020/05/28 /النشر على الخط: 2020/06/15
Received: 04/01/2020 / Accepted: 28/05/2020 / Published online : 15/06/2020

ملخّص:

يزخر المشروع الفكري النهضوي لمالك بن نبي بجملة من المفاهيم لاسيما تلك التي طرحها في كتابه شروط النهضة والتي شملها في معادلته الشهيرة:الحضارة= إنسان + تراب + وقت، و يحتل مفهوم الإنسان أهمية كبرى في هذا المشروع باعتباره مجال القوة الروحية (الفكرة الدينية)، من أجل ذلك نهدف في بحثنا هذا إلى إبراز مفهوم إنسان الحضارة وخصائصه وأهم المشكلات التي يعانيها إنسان ما بعد الحضارة في المجتمعات المسلمة وهي مشكلة الافكار والحلول الممكنة لها من وجهة نظر مالك بن نبي.

الكلمات المفتاحية: إنسان الحضارة، الخصائص، المشكلات، الحلول

Abstract:

Malik bin Nabi's intellectual Renaissance project is rich of a number of concepts, particularly those displayed in his book *The Conditions of Renaissance*, and which he included in his famous equation: Civilization = Human + Soil + Time. The concept of human being enjoys an immense significance in this project as the field of spiritual strength (religious idea). The aim of this research is to highlight the concept of the 'civilization human being', its characteristics, the most important problems it from in Muslim societies, and their possible solutions from Malik bin Nabi's perpective.

Keywords: civilization human being, characteristics, issues, solutions

1. مقدّمة:

تميز المفكر الجزائري مالك بن نبي بمنظور خاص ومتفرد عن غيره من المفكرين في دراسته لمسألة الحضارة، نتج عن خلاصة تعمقه في دراسة تراث من سبقه، بالإضافة إلى دقة ملاحظته وعمق تحليله للواقع الاجتماعي المعاش. يزخر مشروعه الفكري النهضوي بجملة من المفاهيم التي تعتبر أدوات تحليلية لفهم مشكلات الحضارة والحلول المناسبة لها؛ كمفهوم الإنسان، التراب، الوقت، الفكرة الدينية، من هذا المنطلق تتبين أهمية دراستنا هذه ونهدف من خلالها إلى إبراز مفهوم إنسان الحضارة وخصائصه باعتباره مجال القوة الروحية (الفكرة الدينية)، وأهم مشكلة يعانيها العالم الإسلامي وهي مشكلة الافكار والحلول المناسبة لها ولتحقيق هذه الأهداف طرحنا التساؤلات التالية:

- ماهو المفهوم الدقيق لإنسان الحضارة وخصائصه في فكر مالك بن نبي؟
- ماهو مفهوم إنسان ما بعد الحضارة الاسلامية؟
- فيم تتمثل المشكلة الفكرية في العالم الاسلامي؟
- ماهي الحلول الممكنة لهذه المشكلة من منظور مالك بن نبي؟

و للإجابة على هذه الأسئلة اعتمدنا على عناصر الخطة التالية:

1-الإنسان محور معادلة الحضارة

2-خصائص إنسان الحضارة عند المفكر مالك بن نبي.

3-مفهوم إنسان الحضارة عند المفكر مالك بن نبي.

4-إنسان ما بعد الحضارة الاسلامية.

5-إنسان مابعد الحضارة ومشكلة الافكار في العالم الاسلامي

6-الحلول التي طرحها المفكر مالك بن نبي لهذه المشكلة.

2.الإنسان محور معادلة الحضارة:

من إلهام اجتماعي عميق، من عمق المأساة نبع الشعور بمعنى الإنسان، في صورتيه الخلقية والاجتماعية إنه عمق التحليل ودقة النقد لواقع بائس عاشه المفكر مالك بن نبي رحمه الله بكل جوارحه؛ افرز في النهاية معادلة الحضارة: الإنسان+ تراب + وقت.

إن ما انطوى عليه كتاب شروط النهضة يتعدى حدود الواقع الجزائري ليشمل العالم الإسلامي والعالم الإنساني بأسره، إنها دراسة لمشكلة إنسانية أينما وجدت. وعناصر معادلة الحضارة لا قيمة لها بدون وجود عامل يفعل ووظائفها ويمزجها مع بعضها البعض

والذي يتجسد في الفكرة الدينية "إن الكلمة لمن روح القدس إنها تساهم إلى حد بعيد في خلق الظاهرة الاجتماعية، فهي ذات وقع في ضمير الفرد شديد إذ تدخل إلى سويداء قلبه فتستقر معانيها فيه لتحوله إلى إنسان ذي مبدأ ورسالة "[1].

تتجلى أهمية الإنسان ومحوريته في معادلة الحضارة باعتباره مجال مركب الحضارة، فالفكرة الدينية مستقرها النفس الإنسانية، تعمل على تحريره من قانون الطبيعة المفطور في جسده، ويخضع وجوده في كليته إلى المقتضيات الروحية التي طبعتها الفكرة الدينية في نفسه؛ بحيث يمارس حياته في هذه الحالة الجديدة حسب قانون الروح.[2].

من هذا المنطلق يعتبر الإنسان السند المحسوس للفكرة الدينية إنه حلقة الوصل بين ما هو غيبي وما هو واقعي، بين الفكرة والعمل، بين المبدأ والسلوك، بالإضافة إلى أن "العلاقة الاجتماعية التي تربط الفرد بالمجتمع هي في الواقع ظل العلاقة الروحية في المجال الزمني "[3]" والحق أن تطور الإنسانية هو ما يحدث من نمو في مشاعرها الدينية المسجلة في واقع الأحداث الاجتماعية ،تلك التي تطبع حياة الإنسان وعمله على وجه البسيطة "[4]

إذا تتبعنا أطوار الحضارة عند مالك بن نبي نجد أن الإنسان باعتباره السند المحسوس للفكرة الدينية ووعاءها؛ قد اختلفت خصائصه باختلاف أطوار الحضارة كما يلي:

- مرحلة الروح: يكون فيها الإنسان في قمة نشاطه و فعاليته.

-مرحلة العقل: هي المرحلة التي تبدأ فيها الفكرة الدينية في التلاشي، وبروز نشاط العقل وبداية تحرر الغريزة.

- مرحلة الغريزة: هي مرحلة نهاية فعالية الفكرة الدينية وتحرر كامل للغرائز.

من خلال تحليلنا لهذه المراحل نجد أن الإنسان هو الفاعل الأساسي في إنتاج هذه الأطوار، إنه صانع التاريخ بمختلف خصائصه؛ إذن نستنتج مما سبق أن الإنسان محور معادلة الحضارة لأنه:

-مجال مركب الحضارة: حيث تستقر الفكرة الدينية في نفسه و تفعل قواه و تنظمها وفق قانون الروح.

-حلقة وصل بين: عالم الغيب وعالم الواقع، بين الفكرة والسلوك، وهو السند المحسوس للفكرة الدينية.

-محرك التاريخ : ويصبح كذلك بعد تفعيل الفكرة الدينية في نفسه وتفعيل قواه وفق نظام الروح.

-يعمل في جماعة: الإنسان لا يعمل بمفرده بل بتشابك العلاقات الإنسانية وفق نظام موحد.

-الإنسان سيد المعادلة: هو موجه عنصر التراب والوقت.

3.خصائص إنسان الحضارة عند المفكر مالك بن نبي:

[1]-مالك بن نبي، شروط النهضة،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1،س1986،ص 22.

[2]-مالك بن نبي،نفس المرجع،ص 67.

[3]-مالك بن نبي،ميلاد مجتمع، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع،دمشق، ط3، س 1985، ص 52،

[4]-نفس المرجع، ص 56.

يمكننا استنتاج خصائص إنسان الحضارة في المشروع الفكري النهضوي للمفكر الجزائري مالك بن نبي من خلال تحليل خصائصه في كل طور من أطوار دورة الحضارة، ومقارنتها والتي عبر عنها في مخططه التالي:

الشكل**1**: يوضح:أطوار دورة الحضارة عند المفكر مالك بن نبي

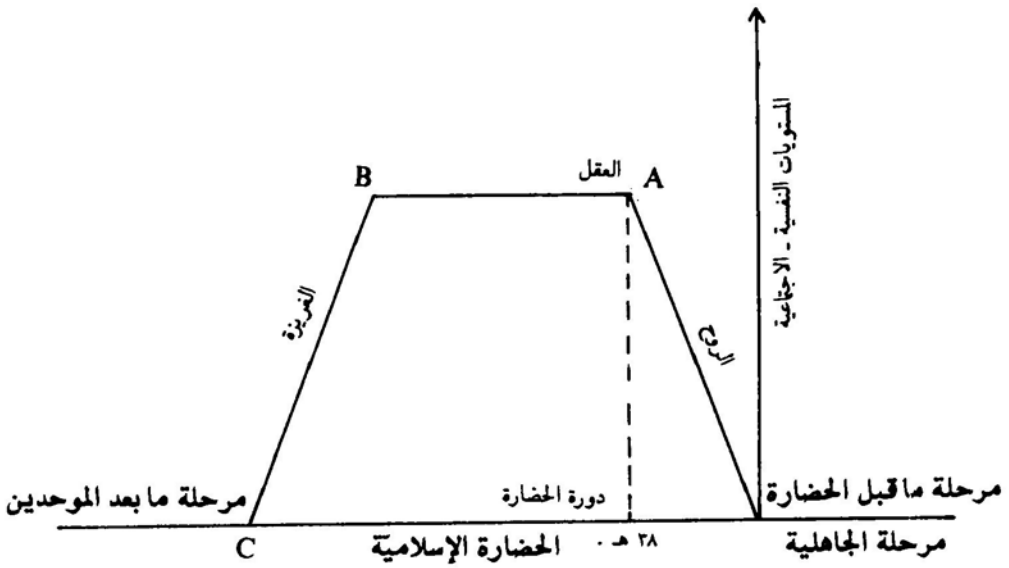

المصدر: شروط النهضة بتصرف

خلف هذا الرسم البياني حقائق عن الإنسان إذ تخفي كل حقبة خصائص قد حددها بدقة مالك بن نبي في أكثر من مؤلف، وفي أكثر من موضع. فقبل نقطة الصفر يوجد إنسان الفطرة ويسميه مالك بن نبي أيضا إنسان الطبيعة وإنسان ما قبل الحضارة ومن أهم خصائصه أنه غير فعال، لعدم قدرته على توجيه واستغلال كل من التراب و الوقت، لا لشيء إلا لأنه خال من الفكرة الدينية، إنه يعيش في ظلام روحي تسيره غرائزه نحو هدف مجهول. إن انقطاعه عن ما وراء الطبيعة (القوة الغيبية) جعله يعيش في عالم ثقافي محدود تتمحور معتقداته حول أشياء لا حياة فيها، و يعتبر عالمه المحدود لا مستقبل فيه ولا طموح، منغلق على نفسه، أما عوالمه الثلاثة الأفكار، الأشخاص، الأشياء فإنها غير منسجمة وغير متزنة، وتبدأ الحضارة عند نقطة الصفر وهي النقطة التي تستقر الفكرة الدينية في إنسان الفطرة وتترسخ في نفسه فتنظم طاقته الحيوية وفق نظام الروح الجديد بعدما كانت غرائزه محررة من كل قانون. "إن هذه العملية الشرطية ليس من شأنها القضاء على الغرائز ولكنها تتولى تنظيمها في علاقة وظيفية مع مقتضيات الفكرة الدينية؛ فالحيوية الحيوانية التي تمثلها الغرائز بصورة محسوسة لم تلغى ولكنها انضبطت بقواعد نظام معين."[1]

[1]-مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 67.

إذن يظهر إنسان الحضارة حين تتوجه أنظاره إلى ما وراء أفق الأرض؛ فتمسه شرارة الروح و تحوله من إنسان راكد إلى إنسان فعال متحرك. ويتميز إنسان الحضارة بامتثاله لقانون الروح (الفكرة الدينية) الذي ينظم غرائزه في علاقة وظيفية مع مقتضيات الفكرة الدينية.

إن إنسان الحضارة هو ذلك الإنسان الذي أمدته الفكرة الدينية بعد ما طبعته واستقرت في نفسه بقدرة وقوة على استغلال الوقت والتراب، ومن تم قدرته على صناعة التاريخ وتحريكه؛ أي قدرته على تجسيد الفكرة الدينية في الواقع من خلال إخضاع المبدأ للواقع، وجعل الفكر منسجم مع السلوك؛ أي تناغم المبدأ مع الهدف إن تلك القدرة نابعة من علاقته الروحية ونقاوتها مع ربه والتي تنعكس في صدق ونقاوة علاقاته الاجتماعية.

يكتسب إنسان الحضارة قيمته الحقيقية من وجوده في ظل علاقاته مع غيره من أفراد مجتمعه، والسير في طريق واحد توحدهم الشرارة الروحية، أو وحدة المبدأ (الفكرة الدينية)، أي أن الفكرة الدينية هي التي تكسب إنسان الحضارة معنى الجماعة.

يواصل المجتمع تطوره وتصل الحضارة إلى أوجها فتكتمل شبكة الروابط الداخلية ثم تستدعي المستجدات على الساحة الاجتماعية منعطفا آخر هو منعطف العقل؛ وهو الطور الثاني من أطوار الحضارة. إن العقل ليس له القدرة على التحكم في الغرائز بقدر ما للروح من قوة، و توجيهها مثل قدرة الروح على ذلك مما يسمح لها بالتحرر شيئا فشيئا إلى أن تتغلب نهائيا على العقل بعد الضمور التام للفكرة الدينية، مما يستدعي أفول الحضارة وهي الطور الثالث من أطوار الحضارة المسماة بطور الغريزة؛ حيث يقول مالك بن نبي "وأثناء مواصلة التاريخ سيره نرى هذا التطور يستمر في نفسية سلوك الأفراد وبقدر ما تتحرك هذه النزعة من قيودها في المجتمع يكف التحرر الأخلاقي الذي يمارسه الفرد في أفعاله الخاصة شيئا فشيئا."[1]

إن إنسان هذه المرحلة هو الإنسان الذي تحررت غرائزه وغلبت سطوتها على العقل، وضعفت سلطة الروح فيه؛ أي انتهاء الوظيفة الاجتماعية للفكرة الدينية فتحللت العلاقات الاجتماعية، وأصبح الإنسان في هذه المرحلة خارج دورة الحضارة.

إذن إنسان ما بعد الحضارة هو ذلك الإنسان الذي سلبت منه الحضارة بسبب تفسخه حضاريا، أي غلبة الغريزة على العقل والروح وتصبح أهم خصائصه عدم قابليته للإنجاز، فهو لا يريد توجيه طاقاته (الفكر، العمل، المال).

و يرى مالك بن نبي أن ضمور المبدأ وعدم صفائه يشوش على طبيعة العلاقة بين الأفراد، مما يؤدى إلى انتشار الفردية (الأنانية)، وغياب التطابق بين الفكر والسلوك ،وبين المبدأ والواقع

مما سبق يمكننا أن نفرق بين خصائص إنسان كل مرحلة من مراحل الدورة الحضارية في الجدول التالي:

الجدول**1**: خصائص الإنسان في كل طور من أطوار الحضارة عند مالك بن نبي(من إنجاز الباحثة)

إنسان ما قبل الحضارة	إنسان الحضارة	إنسان ما بعد الحضارة

[1]–مالك بن نبي، شروط النهضة ، مرجع سابق، ص 69.

موجود عند نقطة الصفر (قبل بداية مرحلة الروح)	يظهر في بداية أطوار الحضارة (بداية طور الروح)	يظهر في بداية الطور الأخير للحضارة (طور الغريزة)
هو الإنسان الفطري، الطبيعي ،الراكد، الخامد	هو الإنسان الروحي، المتحرك، الفعال، النشط	الإنسان المتفسخ حضاريا، خارج الحضارة، إنسان الغريزة، المسلوب حضاريا
مستعد للإنجاز	منجز	غير قابل للإنجاز
خالي من الفكرة الدينية، يعيش في ظلام روحي يسير وفق قانون الفطرة	قوة الفكرة الدينية، تحركه القوة الروحية	تستولي عليه الغرائز،ضعف قوة الفكرة الدينية، وتلاشي سلطة الروح تسيره الغريزة
لا ينتفع بوقته و ترابه	يجيد استغلال الوقت و التراب	لا يريد توجيه الوقت والتراب
لا يجيد توجيه طاقاته (الفكر، العمل، المال)	يجيد توجيه قواه نحو هدف محدد(الفكر، المال، العمل)	لا يريد توجيه طاقاته (الفكر، العمل، المال)
منقطع عن ما وراء الطبيعة (القوة الغيبية)	شديد الاتصال بما وراء الطبيعة	ضعف الاتصال بالقوة الغيبية
غير قادر على صنع التاريخ (خارج دورة التاريخ)	محرك التاريخ و صانعه	خارج دورة الحضارة
لا يوجد تأصيل للسلوك	قادر على إخضاع المبدأ للسلوك (تجسيد الفكرة الدينية في الواقع)	غير قادر على إخضاع المبدأ للسلوك (أي تجسيد الفكرة الدينية في الواقع)
العمل يتسم بالفردية، لا يوجد تنسيق جماعي، نحو هدف موحد	عمل جماعي، منظم وفق مبدأ أصيل نحو هدف جماعي محدد	ضعف العلاقة بين الفرد و المجتمع، الهدف فردي، وجود المبدأ الأصيل وانعدام العمل الجماعي لتجسيده في الواقع
لا توجد علاقة بين العبد و ربه.	قوة العلاقة بين العبد و خالقه مع صدقه، و نقاوتها.	ضعف العلاقة بين العبد و خالقه، وعدم الإخلاص فيها، عدم نقاوتها.
سيطرة الأنا الفردية	غلبة الأنا الجماعية ،العلاقات الاجتماعية نقية منسجمة منظمة	غلبة الأنا الفردية ، العلاقات الاجتماعية غير منسجمة ، غير منظمة .
تدور معتقداته حول أشيائه (الأوثان)،يعيش عالم ثقافي محدود، عالم الأشياء شديد الفقر،	تدور معتقداته حول فكرة دينية أصيلة طوعت الطاقة الحيوية (الغرائز) لإنسان ما قبل الحضارة في خدمة التاريخ	تشويش في المعتقد بسبب الأفكار الميتة و المميتة.

يعيش في مجتمع منغلق على نفسه	يعيش في مجتمع منفتح على الآخر، أساس إنساني	يعيش في مجتمع تابع لمن هو أقوى منه.
عدم توازن العوالم الثلاثة (الأشياء ،الأشخاص، الأفكار).	توازن العوالم الثلاثة	عدم توازن العوالم الثلاثة (طغيان عالم الأشياء)

المصدر: من إعداد الباحثة

4.مفهوم إنسان الحضارة عند المفكر مالك بن نبي:

مما سبق يمكننا أن نستنتج عدة تعاريف لمفهوم الإنسان في المشروع النهضوي للمفكر مالك بن نبي رحمه الله، وهي تدور كلها حول خصائصه الأساسية والتي نوضحها أكثر للاستزادة في مايلي:

-مبدأه يتطابق مع سلوكه.

-فعال منجز، نشط، متحرك.

-انعكاس صفاء و صدق علاقته مع ربه على علاقاته الاجتماعية.

-العمل الجماعي المنظم و التكاثف مع باقي أفراد مجتمعه (قوة العلاقة الاجتماعية و صفائها).

- يجيد توجيه الفكر و الجهد والمال.

تعريف 1: "إنسان الحضارة هو إنسان منجز فعال نشط تطابقت مبادئه الأصلية (الفكرة الدينية)مع أفعاله بفضل نقاوة و صدق علاقته الروحية مع خالقه ؛فمنحته القدرة على التوجيه الأمثل للفكر و الجهد و المال، و حركته نحو الاستغلال الأمثل للتراب و الوقت في عمل جماعي متناسق و منظم لتحقيق هدف موحد ".

تعريف 2: "هو مجموع الطاقات التي تفعلت بفكرة دينية و تناسقت مع غيرها في المجتمع واتحدت من أجل تحقيق هدف محدد"

تعريف 3: "إنسان الحضارة هو مجموع الجهود الاجتماعية المتناسقة الموحدة المبدأ والسلوك، الفكر والواقع لتحقيق هدف واحد"

التعريف الدقيق:

ويمكننا أن نجمع جميع خصائصه لنقول أن إنسان الحضارة هو" ذلك الانسان الذي يملك مؤهلات أو خصائص أو مفاتيح الدخول إلى الحضارة، هو الانسان الروحي المتحرك الفعال النشط المنجز؛ يتميز بقوة الفكرة الدينية؛ أي تحركه القوة الروحية، يجيد استغلال الوقت والتراب، يجيد توجيه قواه (الفكر، المال، العمل) نحو هدف محدد، يحرك التاريخ ويصنعه، قادر على إخضاع المبدأ للسلوك (تجسيد الفكرة الدينية في الواقع) يعمل في إطار الجماعة في نظام ووفق مبدأ أصيل نحو تحقيق هدف جماعي محدد مسبقا، تتميز علاقاته الاجتماعية بالانتظام والانسجام وغلبة الانا الجماعية وضمور الانا الفردية، كما يتميز بتوازن عوالمه الثلاثة"

5.إنسان ما بعد الحضارة الاسلامية (انسان المجتمع الاسلامي المعاصر):

من هو إنسان ما بعد الحضارة الاسلامية او انسان المجتمع الاسلامي المعاصر؟ سؤال من الضروري طرحه ومن الضرورة القصوى الاجابة عليه، لان هذه الاجابة هي مفتاح فهم واقع االعالم الاسلامي، ومشكلاته، وايجاد الحلول لها. يجيبنا المفكر مالك بن نبي رحمه الله من خلال تفسيره لدورة الحضارة السالفة الشرح، فيقول لكي نحدد خصائص الإنسان في المجتمع الإسلامي المعاصر "علينا أن نحدد مرحلته التاريخية و موقعه من دورة الحضارة "[1] إنه يعيش مرحلة ما بعد الحضارة؛ أي انه خارج مجرى التاريخ ، إذن إنسان المجتمع الإسلامي المعاصر هو ذلك الإنسان المتفسخ حضاريا، ذلك الإنسان الذي سلبت منه حضارته بعدما تلاشت الفكرة الدينية وضعف تأثيرها، إنه ذلك الإنسان المنفرد، الذي غلبت عليه أنانيته،

وانطفأت فعاليته في المجتمع وتقوقع حول نفسه ليعيش على ما ورثه من الحضارة الغربية .

إنسان المجتمع الاسلامي المعاصر هو إنسان ما بعد الموحدين "الذي خلف إنسان الحضارة الاسلامية، والذي كان يحمل في كيانه جميع الجراثيم التي سينتج عنها في فترات متفرقة جميع المشاكل التي تعرض لها العالم الاسلامي منذ ذلك الحين" 8 ومن أهم الخصائص التي يتميز بها كونه يحمل بداخله الفكرة الدينية لكنها ضعيفة، أدى ذلك إلى ضعف في العلاقة لروحية والاتصالية بينه وبين خالقه، ورغم تكدس عالم الأشياء إلا أنه بالغ التعقيد، فهذا الانسان غير قابل للإنجاز، فعالم الاشخاص كثير لكنه بدون فعالية، لان عالمه الفكري مخلوط بالأفكار الميتة و المميتة، وهذه الخصائص جعلته مصدرا للمصاعب في المجتمع.

ما نلاحظه هو أن إنسان ما بعد الموحدين الذي خلفته الحضارة الاسلامية الآفلة والذي تميز بالخصائص السالفة الذكر أصبح يشترك مع إنسان ما قبل الحضارة في خاصية اساسية وهي التموقع خارج مجال الحضارة، إلا أن بينهما اختلافات جوهرية وجب إفرادها في الجدول الموالي للتوضيح أكثر:

الجدول **2**: فروقات جوهرية بين إنسان ما قبل الحضارة وإنسان ما بعد الحضارة (من إنجاز الباحثة)

إنسان ما قبل الحضارة	- **إنسان ما بعد الحضارة**
مستعد للإنجاز	غير قابل للإنجاز
غياب الفكرة الدينية(ظلام روحي)	وجود الفكرة الدينية لكنها ضعيفة(ضعف العلاقة الروحية)
معتقداته تدور حول أشياء لا حياة فيها	العلاقة الاتصالية بين العبد و خالقه ضعيفة
عالم الأشياء شديد البساطة	عالم الأشياء شديد التعقيد (مكدس)
عالم الأشخاص قليل و محدود القدرات (قدرات غير	عالم الأشخاص كثير لكنه بدون فعالية

[1] مالك بن نبي، مشكلة الافكار، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، ط1، 1988، ص 8.

مفعلة)	
عالم الأفكار بدائي محدود.	عالم الأفكار مخلوط بالأفكار الميتة و الأفكار المميتة.
أقل مصدرا للمصاعب في المجتمع	أكثر مصدرا للمصاعب في المجتمع

المصدر: من إعداد الباحثة

أما أوجه الاتفاق فيمكننا إجمالها في مايلي:

- كلاهما خارج مجال الحضارة .

-عدم توازن عالم الأشياء والأفكار والأشخاص.

-أهداف فردية محدودة .

-علاقات اجتماعية فاترة.

6. انسان ما بعد الحضارة ومشكلة الافكار في العالم الاسلامي المعاصر:

يرى المفكر مالك بن نبي أن رأس كل المشكلات التي يعاني منها إنسان المجتمع الإسلامي المعاصر هي المشكلة الفكرية "فالمجتمع المتخلف ليس موسوما حتما بنقص في الوسائل المادية (الأشياء) وإنما بافتقاره للأفكار..."[1] يظهر هذا في مختلف المجالات " فهناك فاقة حقيقية في الأفكار تظهر في المجال السياسي والاقتصادي على شكل موانع كابحة "[2].وتنقسم المشكلة الفكرية التي يعيشها العالم الاسلامي المعاصر إلى ما يلي:

1.6.توارث الأفكار الميتة:

يرى مالك بن نبي أنه من الخطأ الاعتقاد بأن مجتمع ما بعد الحضارة يواصل سيره على طريق حضارته الآفلة ، ومن الخطأ أيضا الاعتقاد أنه يقف مكانه، بل يتقهقر إلى الوراء ويرجع سبب تقهقره هذا إلى محافظته على الأفكار التي اقتلعت حضارته وأصبحت بعد أفولها أفكارا ميتة معيقة لإقلاعه الحضاري "إن الأفكار الميتة "التي ورثناها عن عصر ما بعد الموحدين ،أخطر علينا من الفئة الأخرى، ويكفينا كي نتأكد من هذا أن نلقي النظر على قائمة الأفكار التي فعلت فعلتها في التاريخ فقتلت المجتمع الإسلامي ...إن هذه الأفكار التي لازالت-باعتبارها أصبحت ميتة –تكون الجانب السلبي في نهضتنا قد كانت تكون الجانب الايجابي أو "القتال "في عهد التقهقر و الأفول الذي مر على الحضارة الإسلامية ،هذه الأفكار إذن كانت قتالة في مجتمع حي قبل أن تصبح ميتة في مجتمع يريد الحياة"[3]

[1]-نفس المرجع، ص 36.

[2]-نفس المرجع ، ص 7.

[3]-مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، دمشق، س 1981، ص 130.

إن الفكر الإسلامي الموروث عن الحضارة الآفلة هو جنوحه نحو الغلو "وحينها يكون الفكر الإسلامي في أفوله كما هو شأنه اليوم فإن المغالاة تدفعه إلى التصوف ، والمبهم، والغامض وعدم الثقة والتقليد الأعمى والافتتان بأشياء الغرب "[1] "إن كل مجتمع يصنع بنفسه الأفكار التي تقتله ،ولكنها تبقى بعد ذلك في تراثه الاجتماعي "أفكارا ميتة "تمثل خطرا أشد عليه من خطر "الأفكار القاتلة" إذ الأولى تضل منسجمة مع عاداته، وتفعل مفعولها في كيانه من الداخل ،إنها تكون ما لم نجر عليها عملية تصفية، تكون الجراثيم الموروثة الفتاكة التي تفتك بالكيان الإسلامي من الداخل وهي تستطيع ذلك لأنها تخدع قوة الدفاع الذاتي فيه "[2]

حسب منظور المفكر مالك بن نبي فإن المجتمع الإسلامي المعاصر لا يستطيع "أن يتابع مسيرته بعقول خاوية ، أو محشوة بأفكار ميتة وضمائر حائرة ، وشبكة من الروابط المتهدمة ليس تجمعها وحدة "[3].

2.6.امتصاص الأفكار القاتلة:

تتمثل الأفكار القاتلة في الفكر الغربي الذي امتصه الإنسان المسلم إنسان ما بعد الحضارة لغاية الالتحاق بالركب الحضاري واستعادة المجد الضائع دون تمحيص أو تنقية، لان موت الأفكار لديه جعله يتخبط في ظلام فولى وجهه شطر الحضارة الغربية وامتص أفكارها الموروثة الميتة والأفكار القاتلة المجتثة من جذورها الغربية لتنتقم من هذا العالم كما ينتقم جسر سيئ البناء بالانهيار على من بناه "[4] "فقد نجد دور "الأفكار الميتة"ودور "الأفكار القاتلة "يتمثلان في شخصية واحدة تمثل المظهرين لأنها تحمل الجرثومة الموروثة في كيانها تلك الجرثومة المستوردة وتقرها في المجتمع الإسلامي المعاصر "[5] وبالتالي فإن الأفكار القاتلة ماهي إلا إفرازات للأفكار الميتة، إنها من دفعت فكر ما بعد الموحدين إلى امتصاصها في جامعات العواصم الغربية. فمشكلة إنسان المسلم إنسان ما بعد الحضارة الإنسان الذي يحمل أفكارا ميتة ليس لديه موقفا صحيحا اتجاه مشكلة الثقافة، "فموقفنا إزاء مفهوم الثقافة بصفة عامة، والثقافة الغربية على وجه الخصوص، هو السبب الرئيسي في الشر كله "[6]

3.6.خروج العمل عن مقاييس الفعالية:

إضافة إلى ما سبق يقول الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله أن مشكلة الإنسان المسلم أينما كان بصفة خاصة والمجتمع الإسلامي بصفة عامة و الجزائر جزء منه؛ هو خروج عمله عن مقاييس الفعالية فماذا يقصد بالفعالية؟

[1]- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار، مرجع سابق، ص 24.

[2]- مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مرجع سابق،نفس الصفحة.

[3]-مالك بن نبي، مشكلة الأفكار، مرجع سابق، ص 56.

[4]-نفس المرجع، ص 13.

[5]- مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مرجع سابق،131.

[6]- مالك بن نبي، في مهب المعركة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، ط3، س 1981، ص 134.

الفعالية هي عنصر الحركة الدافعة في الإنسان يدخل في بناء الشخصية عن طريق التمثل النفساني لعناصر ثقافية معينة يمتصها في الجو الاجتماعي الذي يعيش فيه، كما يمتص الحيوان العناصر الحيوية عن طريق التنفس في الجو الطبيعي "[1]. فخصائص العمل على الصعيد الفردي والجماعي تستند على العلاقات الداخلية بين مقاييسه الثابتة في العالم الثقافي: الأشياء، الأشخاص، الأفكار[2]

إذن تنتج الفعالية عن التوازن بين عالم الأشياء، وعالم الأشخاص، وعالم الأفكار وطغيان أحد العوالم على الآخر يؤدي إلى الفوضى في الأفكار، ويشير المفكر مالك بن نبي إلى أن عالم الأفكار هو الذي يدعم عالم الأشياء، العالم الذي لا يقف على قدميه بدون العالم الأول، ولا يمكن ان يقف على قدميه بنفسه إذا أطاحت به النوائب.[3] لان الإنسان صانع الحضارة ومجال الفكرة وهو الذي يحدد في النهاية القيمة الاجتماعية لمعادلة الحضارة.

وواقع مجتمعنا الإسلامي المعاصر يعيش فوضى الأفكار وعجزها ؛لان الفكرة الأصيلة سجينة بين قضبان رواسب الماضي (الأفكار الميتة) ومفاسد الحاضر (الأفكار القاتلة)"وبافتقادنا هذا التنظيم الداخلي الذي يضع كل فرد وكل شيء ،حيث ينبغي أن يوضع، نجد أن العالم الإسلامي لا يمنح الفرد كل الضمانات الاجتماعية لتحسين عمله اليدوي أو الفكري ، ولا يتيح له أن يجني ثمار هذا العمل "[4]."فالفوضى في الأشياء وفي الأفكار كان نتائجها الحتمية انعدام الأمن في المجتمع، و لبلبلة في الأفكار، والاضطراب في الأرواح ،فهناك دائما تبعية مشتركة في الحالة الاجتماعية ، والحالة الأخلاقية في وسط معين، فالفوضى في أشكالها المختلفة الاقتصادية و الفكرية تنتج الاضطراب الأخلاقي "[5].

إن المنطلق العملي هو ما ينقص المجتمعات الإسلامية المعاصرة لأن العجز في المجال النفسي (المراقبة الذاتية) يؤدي إلى العجز في مراجعة النتائج ،ففكرنا لا يقيم علاقات بين النشاطات و الجهود والوسائل من ناحية، و نتائجها من ناحية أخرى. [6]

إن هذا الوضع المؤلم الذي يعيشه المسلم اليوم جعل منه شخصية مزدوجة يقول مالا يعمل ،يعمل عكس ما يؤمن "إنها اللحظة المؤلمة حيث المسلم منشطر إلى شخصين: المسلم الذي يتمم واجباته الدينية ويصلي في المسجد، ثم المسلم العملي الذي يخرج من المسجد ليغرق في عالم آخر "[7] .

إذن يواجه العمل نفسه صعوبات وإهدارا للوقت وتبديدا للوسائل وانحرافات يردها الأستاذ مالك بن نبي إلى تداخل في طغيان أحد العوالم على الآخر ولكل طغيان أضراره.و بالإضافة إلى لا فعاليتنا فنحن نخترع ترهات لتبرير لا فعاليتنا، مثل الفقر، الجهل ،المسافة[8] ،

---

[1]–مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، ط1، س 1979، ص 58.

[2]– مالك بن نبي، مشكلة الافكار، مرجع سابق، ص 76.

[3]–مالك بن نبي، فكرة كومنويلث، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق،ط 2، س 2000، ص 53.

[4]– مالك بن نبي، نفس المرجع، ص 31.

[5]– نفس المرجع، ص 32.

[6]– نفس المرجع، ص 59.

[7]– مالك بن نبي، مشكلة الافكار، مرجع سابق، ص 75.

[8]– مالك بن نبي، فكرة كومنويلث، مرجع سابق، ص 62.

لقد نجم عن هذا كله مشكلات زادت من عمق الفجوة بين عالمنا الحاضر وماضينا المجيد منها:داء التكديس، عقدة الرفض، القابلية للاستعمار، ظاهرة التبديد و التبذير، استصعاب الأمور وتساهل الأمور التقليد الأعمى، الانعزالية، ظاهرة التعالم ..الخ..

7.الحلول من وجهة نظر المفكر مالك بن نبي :

انطلاقا من أن الإنسان هو محور معادلة الحضارة لأنه مجال الفكرة الدينية التي تفعل قواه وتنظمها وفق قانون الروح ، وهو حلقة الوصل بين ما هو غيبي وواقعي، لأنه السند المحسوس للفكرة الدينية، وهو محرك التاريخ و موجه عنصر التراب والوقت، فإن المجتمع الإسلامي المعاصر بحاجة إلى الرجال "[1] ، فمن الرجل تنبع المشكلة الإسلامية بأكملها وخاصة في الجزائر "أي أن الإنسان هو مجال الداء و الدواء، هو أساس البناء والهدم .

إن حل مشكلة الإنسان والمجتمعات الإسلامية عامة هو "أن نصنع رجالا يمشون في التاريخ ،مستخدمين التراب والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى"[2] و صناعة الرجل في فكر مالك بن نبي تتطلب توجيهه في ثلاث نواحي يوضحها في قوله "إن حل مشكلة الإنسان يتكامل في ثلاثة عناصر أساسية هي :توجيه الثقافة وتوجيه العمل و توجيه رأس المال "[3] و يقصد بالتوجيه قوة في الأساس الأساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف لتجنب الإسراف في الجهد و الوقت .

إن توجيه العمل وتوجيه رأس المال يرتبط أساسا بتوجيه الثقافة، لأن المشكلة فكرية بالدرجة الأولى لذلك حلها يتطلب مايلي:

1.7.تنقية ثقافتنا (فكرنا) من الأفكار الميتة والقاتلة (المميتة):

الثقافة بالنسبة للأستاذ مالك بن نبي هي نظرية في السلوك وهي الجسر الذي يعبره المجتمع للرقي والتمدن، كما أنها الحاجز الذي يحفظ بعض أفراده من السقوط من فوق الجسر إلى الهاوية ،لذلك يجب أن يتخذ الشعب من مركبها الاجتماعي دستورا لحياته ويتمثل هذا المركب في:

-عنصر الأخلاق لتكوين الصلات الاجتماعية .

-عنصر الجمال لتكوين الذوق العام .

منطق عملي لتحديد أشكال النشاط العام .

-الفن التطبيقي الملائم لكل نوع من أنواع المجتمع (الصناعة).

هذا المركب مشوه برواسب الماضي وجراثيم الحاضر " وإنه ليجب بادئ الأمر تصفية عاداتنا و تقاليدنا وإطارنا الخلقي والاجتماعي، مما فيه من عوامل قتالة، ورمم لا فائدة منها، حتى يصفو الجو للعوامل الحية والداعية إلى الحياة .إن هذه التصفية لا تتأتى إلا بفكر جديد، يحطم ذلك الوضع الموروث عن فترة تدهور مجتمع أصبح يبحث عن وضع جديد هو من وضع النهضة ونخلص من ذلك إلى ضرورة تحديد الأوضاع بطريقتين:

---

[1]- مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 82.

[2]- مالك بن نبي، نفس المرجع، ص113.

[3]- نفس المرجع و الصفحة.

الأولى: سلبية تفصلنا عن رواسب الماضي.
الثانية: إيجابية تصلنا بمقتضيات المستقبل "[1]

2.7.دخول العمل ضمن مقاييس الفعالية :

إن افتقار الإنسان المسلم للمنطق العملي بسبب خروج عمله عن مقاييس الفعالية شتت جهوده الفكرية، والبدنية وجعله يتخبط في مشكلات باعدت بينه وبين خط السير نحو الحضارة ،وعودته ودخوله الحضارة يتطلب في الوقت الراهن دخول عمله ضمن مقاييس الفعالية، أي التوازن بين عالم الأشخاص و عالم الأفكار وعالم الأشياء، ويحدث التوازن حين ننقي ثقافتنا الإسلامية الأصيلة من الأفكار الميتة والمميتة ،أي عندما نحيي الفكرة الأصيلة (الفكرة الإسلامية) ونبعثها في النفوس من جديد و هذا امتثالا لقوله تعالى" إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"[2] ذلك هو أصل الحلول، ومنطق كل تغيير وتجديد ودخول الحضارة ودخول التاريخ. فالفكرة الأصيلة (الإسلام)وحدها القادرة على تجميع الجهود نحو هدف واحد، وحدها القادرة على تغليب المصلحة الجماعية على المصلحة الفردية، هي وحدها القادرة على استيعاب كل الجهود في المجتمع مهما كانت بسيطة وكل الطاقات و"العوامل الإنسانية البسيطة –اليد –الفكر – المال –دون انتظار الشروط الفنية .أي الوسائل الميكانيكية، والإطارات الفنية بمعناها الضيق الذي نجده في قاموس اقتصادي عادي "[3]

إن الفكرة الأصيلة (الإسلام) هي القادرة على صناعة رجل الحضارة، ذلك الإنسان القادر على تحويل الأفكار إلى قوة مغيرة للواقع، إنسان يفعل ما يقول، وبهذا المنطق فقط يمكن للمجتمع الإسلامي المعاصر أن يصنع حضارة ويدخل التاريخ.

8. خاتمة:

تناولت هذه الورقة البحثية موضوع الإنسان كمفهوم أساسي في المشروع الفكري النهضوي لمالك بن نبي حاولت الباحثة من خلاله الإجابة على التساؤلات التالية :

لماذا يعتبر الإنسان محور المعادلة في المشروع النهضوي للمفكر مالك بن نبي؟ وماهي خصائصه؟ وما مفهوم الإنسان الحضارة في هذا المشروع؟ وما هو مفهوم إنسان ما بعد الحضارة؟ وفيما تتمثل مشكلة الافكار لدى انسان ما بعد الموحدين او بالأحرى المجتمعات المسلمة؟ وماهي الحلول التي قدمها مالك بن نبي؟

وبعد البحث و التعمق في فكر المصلح والمفكر الفذ توصلنا إلى النتائج التالية :

-يعتبر الإنسان محور معادلة الحضارة في المشروع الفكري النهضوي لمالك بن نبي لأنه مجال مركب الحضارة :فالنفس الإنسانية هي مستقر الفكرة الدينية التي تعمل على تفعيل قواه و تنظيمها وفق قانون الروح .

[1]-مالك بن نبي،شروط النهضة، ص 86.
[2]- سورة الرعد ، الآية 11.
[3]-مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 61.

-يعتبر الإنسان حلقة الوصل بين عالم الغيب وعالم الواقع الإنساني وهو الذي يربط بين الفكرة الدينية وتغيير الواقع، ويعتبر السند المحسوس للفكرة الدينية.

-الإنسان هو محرك التاريخ :يضع المجتمع على عتبة التاريخ ويدخله إليها عندما تفعل الفكرة الدينية في نفسه و تنظم غرائزه وفق قانون الروح.

-الإنسان لديه القدرة علة توجيه بقية عناصر المعادلة (الوقت و التراب) أي أنه سيد المعادلة.

وإنسان الحضارة المقصود في المشروع النهضوي هو الإنسان المنجز، الفعال، النشط الذي تطابقت مبادئه الأصيلة (المبادئ الإسلامية) مع أفعاله بفضل نقاوة وصدق علاقته الروحية مع خالقة؛ فمنحته القدرة على التوجيه الأمثل للفكر والجهد و المال، و حركته نحو الاستغلال الأمثل للوقت و للتراب في عمل جماعي متناسق ومنظم مع بني جنسه لتحديد هدف محدد؛ بمعنى أن إنسان الحضارة هو الإنسان الذي يتميز بقوة روحية تحركه و تنظم فكره و جهده نحو هدف محدد، وتمكنه من الاستغلال الأمثل لقواه ذلك الإنسان القادر على إخضاع المبدأ للسلوك العملي، وتحويل الفكر إلى قوة لتغيير الواقع، وتحويل أصالة الفكرة إلى منطق عملي؛ أي ذلك الإنسان الذي تنطبق على أفعاله مقاييس الفعالية. إن هذا الإنسان هو وحده من لا تضيعه متاهة الفكر الآخر، وإنما منفتح عليه يأخذ منه ما يوافق أصالة فكره .

يعيش الإنسان المسلم سواء في الجزائر أو في باقي المجتمعات الإسلامية مشكلات عديدة أساسها تشوه الفكرة الدينية(الإسلامية) في عقله بسبب ضعف العلاقة بينه وبين خالقه، مما سمح للأفكار الميتة والمميتة غزو عقله والسيطرة عليه وتكبيل قواه، فأصبح عمله خارج مقاييس الفعالية، يقول مالا يفعل ،يعمل عكس ما يؤمن وحتى البحث في المشكلات بقي يدور حول الداء وأعراضه ولا يمس أصل الداء، فيبحث عن الحلول للفقر تارة ولظاهرة التكديس تارة ، وللجهل تارة أخرى ...إلخ ، بينما إيجاد حلول لأصل الداء هو ما كان غائبا عنه.

يرى المفكر مالك بن نبي أن الحل لهذه المشكلة وغيرها هو تنقية فكرنا مما يشوبه من أفكار ميتة وأفكار مميتة، وإعادة بعث الفكرة الإسلامية الأصيلة، حينها فقط يمكننا الوصول إلى درجة المنطق العملي ودخول أفعالنا ضمن مقاييس الفعالية.

وأحب أن أختم بما طرحه أستاذنا رحمه الله في كتابه تأملات قائلا "إن أول الأبواب إلى الحضارة أن نواجه المشكلات مستبشرين لا متشائمين، فإذا ما واجهنا الأمور متشائمين فقد أصبحت في حكم الاستحالة ...ويقابل هذا في الخطورة نفسية التساهل... فينبغي علينا أن نتخلص من نفسية المستحيل و نفسية التساهل، فليس هناك شيء سهل وشيء مستحيل"[1] أما الباب الثاني الذي يدعونا الأستاذ مالك بن نبي إلى ضرورة العودة منه للحضارة هو الواجب، أي التركيز على القيام بالواجب أكثر من المطالبة بالحقوق "بل ينبغي على مثقفينا وسياسيينا ومن يمثل كل سلطة أن يوجهوا الهمم إلى الواجب ...فالمجتمع الذي يرتفع وينمو فإن ذلك يعني أن لديه رصيدا من الواجب فائضا من الحقوق "[2].

[1]-مالك بن نبي، بين الرشاد و التيه، دار الفكر للطباعة و للنشر والتوزيع، دمشق، ط 1، س 1979، ص 30.

[2]-نفس المرجع، ص ص 31-30

8.قائمة المراجع:

1-القرآن الكريم
2-مالك بن نبي، بين الرشاد و التيه، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ، س 1978.
3- مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، س1979.
4- مالك بن نبي، في مهب المعركة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ، س1981
5 مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ، س 1981
6- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ، س1985
7-مالك بن نبي، شروط النهضة، ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ، س1986
8- مالك بن نبي، .مشكلة الأفكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ، س1988
9- مالك بن نبي، فكرة كومنويلث إسلامي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ، س2000